سلسلة الأنوار
Collection Lumières
ISSN (2716-7852) ر د م ك
المجلد: 6 العدد: 2 ص 01- 36

الشباب: الخطاب الديني المسجدي والممارسات
Youth: Mosque Religious Discourse and Practices

سعاد ولد سليمان*
جامعة وهران2 محمّد بن احمد

الملخص

تشهد مساجد المسلمين كل يوم جمعة ترديد الأئمة لخطب دينية "وعظية" "إرشادية" من خلال ما يعرف بخطب الجمعة، والتي تتناول مواضيع وقضايا مختلفة في العقيدة الإسلامية ومن المتعارف عليه أن هذه الخطب تهدف إلى وعض الناس وإرشادهم وإشباع حاجاتهم الروحية كما أنها ذات أهمية في الحفاظ على روح الدين، لكن ما يظهر للوهلة الأولى للباحث أو حتى الملاحظ للواقع، أن هناك فرق بين ما يقدم داخل المساجد ويتم إلقاءه في الخطب وما يحدث في الحياة اليومية الاجتماعية، لننظر مثلا إلى تصاعد حالات العنف والإجرام وتفاقم ظواهر الانحراف وظهور الخلل والاضطراب داخل المجتمع، لنضع الخطاب الديني في مقابل الواقع ونقارن بينهما.

كلمات مفتاحية: الشباب، الخطاب الديني، الممارسات الاجتماعية

Abstract

Every Friday, Muslim mosques witness the imams repeating "sermons" and "guiding" religious sermons through what is known as Friday sermons, which deal with various topics and issues in the Islamic faith. Preserving the spirit of religion, but what appears at first glance to the researcher or even to the observer of reality, that there is a difference between what is presented inside mosques and delivered in sermons and what happens in daily social life. Let us look, for example, at the escalation of violence and crime, the exacerbation of the phenomena of deviation and the emergence of imbalance and disorder within society. , Let's put religious discourse against reality and compare them.

Keywords: youth, religious discourse, social practices

مقدمة:

لننظر إلى عدد المصلين وامتلاء المساجد وإلى سلوكات هؤلاء المصلين كفاعلين اجتماعيين لنتساءل هل تهذبت هذه السلوكات أو هل تكفي الموعظة الدينية وحدها لتوجيه سلوكات الناس، هل يحمل الخطاب الديني من التأثير والفعالية ما يجعل له صدى في نفوس المتدينين المتمدنين اليوم، وفي المقابل ما هو المحتوى الذي تحمله هذه الخطب، وهل تراعي فيه ضرورة معالجة ما هو مطروح في الواقع من مشاكل وأزمات؟.

هل التغيير في بينة ومحتوى الخطاب الديني اليوم والذي أصبح ضرورة ملحة يرجع إلى تلك الدعوة الخارجية وإلى حدوث تحولات عديدة وعلى كافة المستويات فرضت نفسها على الساحة العربية الإسلامية، أم أن الظروف الداخلية كانت الأسبق في هذه العملية وهل التغيير الذي حدث مس البنية السطحية فقط، فكان على المحتوى أو المضمون النصي مثلا دون العمق البنيوي والمعرفي؟[1]

طرح أخلاقي مجرد في مقابل واقع اجتماعي معاش، أين هي اليوم جدلية الخطاب والواقع وتفاعل الخطاب مع الواقع، لنضع تلك "البنية الأخلاقية" للخطاب في مقابل "عقلانية" الواقع المعاش، فهل الخطاب الديني واع بهذا الواقع الاجتماعي؟

تكثر التساؤلات في موضوع كموضوع الخطاب الديني، غير أنها كلها تصب في خانة واحدة بل تهدف للإجابة عن سؤال واحد محوري وأساسي، هل هناك اتساع لمساحة الواقع في الخطب الدينية للأئمة؟

1. الإشكالية:

حين نقول مثلاً الدين والاندماج الاجتماعي، قد نتساءل حول تلك العلاقة التي تربط بين الدين والمجتمع، أو قد نذهب للبحث عن تلك الوظيفة أو لنقل الوظائف التي يؤديها الدين داخل أي مجتمع من المجتمعات، قد نقول في البدء إنه بحث عن "الروحانيات" وعن"الخلاص" مما يجعل الفرد مطمئناً بانتمائه إلى جماعة دينية معينة، وبالتالي نصل إلى القول بأن الدين رابط اجتماعي وشكل من أشكال التنظيم.

لكن إذا طُرح أمامنا مفهوم كمفهوم "الاندماج"، فإننا سنوجه البحث نحو مسار آخر، مسار نناقش من خلاله الدين كشكل من أشكال الاندماج الاجتماعي، لنبحث أولاً في معنى مصطلح "اندماج" وما معنى أن يتم دمج الفرد اجتماعياً من خلال انتمائه إلى دين معين أو حتى إلى مذهب ديني أو فرقة دينية مذهبية أو نزعة من النزعات الدينية، وحين يُطرح أمامنا هذا الموضوع يطرح معه موضوع آخر هو الشباب، في تدينهم واندماجهم الاجتماعي، تلك الشريحة الاجتماعية الكبيرة والفعالة المحرك الأساسي

للمجتمع، مولد طاقته وتجديد شبابه، طموحات هذه الشريحة، حاجاتها، اهتماماتها، أين هي تلك الفئة من "الدين" كحاجة، كيف تنظر للدين، و بأي طريقة تمارس تدينها؟.

إذا وضعنا الخطاب الديني في مقابل الواقع، تغير الظروف، المدنية الحديثة، الحداثة، العولمة، شبكة الإنترنيت، تزايد احتياجات الشباب، ضغط الواقع، تزايد الماديات وتنوع المغريات مع تزايد الشهوة والرغبة في الحصول عليها وبلوغ أقصى حد منها، شرائح اجتماعية ودينية (مذهبية) مختلفة، متغيرات اجتماعية، اقتصادية، سياسية وثقافية، أين هو الخطاب الديني اليوم من كل هذا وأين هو موقع واقع تلك الفئة داخل بنية النصوص الخطابية للأئمة؟.

بصياغة أخرى هل يشكل الخطاب الديني اليوم– وأقصد به خطب الجمعة أو الخطاب المسجدي– أحد صور الوعي بالواقع الاجتماعي، وبالأخص هنا الواقع الاجتماعي الخاص بتلك الفئة التي ندعوها فئة الشباب؟.

2 . الفرضيات:

حاولنا إيجاد فرضيات لها قابلية إجرائية، أي قابلة للبحث لتصوير الواقع الاجتماعي فكانت الإجابة المؤقتة والاحتمالية عن السؤال المطروح في الإشكالية، و عن التساؤلات والإشكالات المطروحة سابقاً.

ف1– لغة الخطاب الديني المتمسكة بالمعنى الحرفي للنص القرآني، هي لغة ذات طرح "أخلاقي مجرد" بعيدة في أطروحاتها عن النظرة الموضوعية للواقع، عن "لغة خطاب الواقع" المعاش، الواقع "العقلاني" الدنيوي.

الخطاب الديني خطاب حامل لمفاهيم أخلاقية نصية مجردة يعنى بتوصيلها، أما الواقع فهو واقع ديناميكي متغير، والخطب الدينية للأئمة"ما تزال" مغلقة على نفسها داخل تلك المنظومة الفقهية المذهبية المتوارثة ولا يعنيها– أو لنقل هنا لا يعني الإمام – ذلك التغير ولا تلك الديناميكية الاجتماعيين، وهذا ما يخلق ذلك الشق الكبير وتلك الهوة الشاسعة بين الخطاب والواقع، لا واقع الشباب فحسب بل الواقع الاجتماعي ككل، فما يزال الخطاب الديني– المسجدي هنا – نص "علي مجرد" يحمل قيم روحية أخلاقية، فقهية و مذهبية متوارثة.

ف2– طبيعة تكوين الإمام، التكوين الفقهي "الكلاسيكي" الذي يجعله بعيدا كل البعد عن الاهتمام بانشغالات الناس، فالإمام ليس بمحلل نفسي أو باحث اجتماعي، فهو يرى وظيفته في إمامة الناس لا

البحث عن حلول لمشاكلهم الاجتماعية، أو حتى طرح بعض قضاياهم أو مناقشة واقعهم، هنا يغيب ذلك الاجتهاد الذي يراعي الواقع و النص معا، لا يهمل خصوصية الواقع ولا بنية النص.

ف3- الخطاب الديني المنبري محكوم ومرتبط بالرهان السياسي، هناك علاقة جدلية بين المنطق الديني والمنطق السياسي كلاهما في خدمة الآخر وفي نفس الوقت ضده إن اقتضي الأمر، فلا يمكن للخطيب كموظف حكومي أن يخرج عن "الجو" السياسي العام للدولة، فهو إنما يعكس صورة النظام السياسي وحتى الاقتصادي، في هذه الحالة يمكن أن نقول بأن المسجد جهاز أيديولوجي من أجهزة الدولة، فهو مسير بحسب خدمة مصالحها والترويج لسياساتها، وإن حدث وخرج عن طوعها وعن نظرتها ومراقبتها فإنه سيشكل نوعا من "المعارضة اللاشرعية" وبالتالي يهدد الكيان السياسي لنظام الدولة، فالواقع أيا كان نوعه هو ما يرى بعين السياسي ويملى بلسان الإمام كما يملى بلسان غيره.

3. منهج الدراسة وعينة البحث

3-1.التعريف بالمنهج

إن طبيعة موضوع البحث هي التي تفرض اختيار المنهج، وطبيعة موضوع بحث كموضوع دراسة الخطب الدينية وعلاقتها بالواقع الاجتماعي، تفرض هنا أن يكون منهج الدراسة منهجا كيفيا لا كميا، فنحن لسنا بصدد عرض أرقام وإحصاءات – مع العلم أن هناك بعض الدراسات يتداخل فيها المنهجين الكمي والكيفي وتستعمل فيها أساليب متعددة – والأسلوب المختار للدراسة الكيفية هنا هو أسلوب تحليل المحتوى أو المضمون ومادة البحث الأساسية نصوص خطب الجمعة، فهي المادة التي اشتغلنا عليها بالتحليل"[(2)].

وبالنسبة للشق الثاني من البحث والخاص بتقصي الواقع الاجتماعي للشباب، استعنا بأسلوب المقابلة مع عينة من شباب مدينة معسكر، لنتعرف على نظرتهم للدين، طبيعة تدينهم، موقفهم من الخطاب المسجدي، نظرتهم لشخص الإمام، آمالهم وطموحاتهم كشباب وغيرها من القضايا، لنحاول من خلال هذه المقابلات الإجابة عن كل تلك التساؤلات التي طرحناها سابقاً، فكيف يتم التعامل مع هذه الفئة أو بالأحرى على ماذا يركز الخطاب الديني الموجه لمثل هؤلاء؟

كما قمنا بإجراء مقابلات مع بعض الأئمة لنتعرف عن قرب على الطريقة التي يعتمدونها في تحضير خطبهم، كيف ينظرون لتلك العلاقة التي تجمع الخطاب بالواقع، بأي نظرة يتصورون واقع الشباب، وإلى أي مدى يهمهم و يعنيهم الإلمام بطرح ومناقشة هذا الواقع؟.

ثالث تقنية استعنا بها هي تقنية الملاحظة، فعليها تم بناء بعض الأفكار والمعطيات الأولية التي ساعدتنا على الإلمام بالموضوع، كملاحظة طريقة التدين عند الشباب مثلا (الظاهر منها طبعاً)، حضور بعض خطب الجمعة وملاحظة طريقة وأسلوب تقديمها من طرف الإمام، تتبع نبرة الصوت، الانفعالات، الانقطاعات وغيرها، وكذا محاولة تتبع طريقة توافد بعض الشباب إلى المسجد مثلا وانصرافهم منه.

3-2. التعريف بالعينة

يتواجد بمدينة معسكر 62 مسجد، منها مسجد وطني مركزي، أي مركز ولاية وهو مسجد الإمام مسلم بالمنطقة الثامنة (zone 8)، مسجدين أثريين، مسجد المبايعة ومسجد مصطفى بن توهامي (الجامع الكبير)، 43 مسجد محلي جامع، منها 13 مسجد في طور الإنجاز، 16 مسجد محلي خاص بأداء الصلوات الخمس دون صلاة الجمعة و33 أخرى تتم فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمس.

أما عن عدد الأئمة بالمدينة فهناك 35 في رتبة إمام، 01 أستاذ رئيسي و06 آخرين أساتذة، و15 مدرس، و11 معلم، وأستاذين متعاقدين، والمجموع 33 إمام يقومون بإمامة صلاة الجمعة، أما الإمامين المتعاقدين فيؤمونها في غياب إمام من الأئمة المذكورين سابقاً. وهذا "العدد طبعا خاص بالأئمة دون عدد القيمين بالمسجد ولا عدد معلمي القرآن، لأننا اشتغلنا فقط على الأئمة القائمين بصلاة الجمعة"[(3)]. إذن فبالنسبة للشق الأول من الدراسة المتعلق بجمع نصوص خطب الجمعة، كانت عينة المساجد في محاولة منا مختارة بحسب المقاطعات، يعني من كل مقاطعة نختار مسجد واحد.

وما يخص الشق الثاني من البحث والخاص بالاشتغال على المقابلات مع بعض شباب المدينة وبعض الأئمة المقيمين لصلاة الجمعة، اعتمدنا في الأولى عينة عشوائية مكونة من13 شاباً بين18 و35 سنة، وهذا باعتماد بعض المتغيرات الأساسية كالسن، المستوى الدراسي، المستوى المعيشي، الوضعية المهنية، الأصل الاجتماعي والحالة المدنية.

اعتمدنا في الثانية على عينة محددة من بعض الأئمة اللذين قمنا بجمع خطبهم واعتمدناها في عملية تحليل المضمون، فكانت العينة مكونة من08 أئمة وباعتماد مجموع متغيرات كالسن، المستوى الدراسي وطبيعة التكوين الديني (حديث أو كلاسيكي)، كما قمنا بمقابلة مع مدير متقاعد سابق لمديرية الشؤون الدينية بمعسكر وهو يشرف اليوم على تدريس أئمة الولاية من خلال الالتقاء بهم وإعطاؤهم دروسا خاصة مرة كل الأسبوع.

يحمل المجتمع داخله العديد من الاختلافات والتناقضات وهذه الاختلافات والتناقضات هي ما يشكل النسيج الاجتماعي العام، إن الواقع هو المجتمع والمجتمع هو الواقع وهذا ما يميزه عن المثال، إنه كل

ما هو معاش وتجريبي فتركيبة وسيرورة أي مجتمع من المجتمعات تكمن في مجموع كل تلك التفاعلات التي تتم بين أفراده، فمبدأ الحركة والسكون في المجتمع محكوم بذلك التغير الدائم والمستمر. يتشكل الواقع داخل أي مجتمع من مجموع طقوس وممارسات يومية مختلفة، وتصويره هو تصوير لحقيقة ما يحدث داخله، إنها عملية نقل مقارباتي لكل ما هو مُعاش.

يمكن أن نتحدث في مضمون الخطاب الديني الإسلامي عن وجود شقين اثنين هما النص والواقع، فالخطاب هو كلام لغوي يتضمن النص من جهة ويوجه إلى جماهير الناس من جهة أخرى، وفي وجهته هذه يتطلب منه النظر إلى الواقع ومعالجته بحكم أسبقية الواقع على النص، ولا نعني بالنص هنا النص القرآني بل نعني به كل كلام لغوي حامل لمعنى ما وموجه للناس، وهذا ما يجعل من الواقع المرتكز الأول في أي خطاب من الخطابات سواء كان خطابا دينيا، سياسيا، ثقافيا، إعلاميا وغيره، ففي كل خطاب يعالج الواقع بطريقة من الطرق، وفي غيابه غياب لتلك النظرة العلمية النقدية.

في اشتغالنا على مضمون الخطاب الديني كنص، كان اشتغالنا في مقابله على الواقع كحقيقة، واختيارنا كان العمل على كشف وتصوير الواقع الاجتماعي والواقع الديني لفئة اجتماعية مميزة من فئات المجتمع وهي فئة الشباب، الفئة التي تعمل على إحداث التغيير داخل المجتمع وتتأثر بحدوثه أكثر من غيرها، إن طبيعة الحراك الاجتماعي لتلك الفئة يختلف باختلاف الظروف وتغير الوقائع، كما يتحكم في باقي نشاطاتها ويؤثر على اعتقاداتها وممارساتها الدينية والسوسيوثقافية المتنوعة.

فالديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي كلها أنساق تؤثر وتتأثر بما يحدث داخل البنية العامة للمجتمع، وبالتالي لا يمكن فهم جانب من هذه الجوانب دون بحث غيره فالديني مثلا يفسر انطلاقاً من فهم الاقتصادي والسياسي فلا يمكن فهم ما هو اعتقاد ديني ممثل في طقس ممارس، إلا بالكشف عن باقي الوظائف والممارسات الأخرى التي تتم داخل الحقل الاجتماعي والتي تعمل وتمارس جنبا إلى جنب، فبمجرد أن أصبح الاعتقاد الديني طقوسا ممارسة فإنه قد تحول مما هو"علي" إلى ما هو "تجريبي"، والتجريبي كحدث معاش خاضع لقوانين الواقع ولا يمكنه الخروج عن الجو الاجتماعي العام.

4.الشباب والتدين، حقائق وآمال

رافق الاعتقاد الديني حياة المجتمعات البشرية عبر التاريخ الإنساني الطويل، فكان أن اعتقد الإنسان في أشياء غيبية ماورائية جسدها بعد ذلك فيما يعرف "بالدين"، وباعتبار الإنسان كائن ذو تصورات وتمثّلات كان لابد أن يجسد تمثلاته وتصوراته الاعتقادية هذه التي قننها داخل إطار محدد سماه

بالدين، في مجموع طقوس وممارسات، فكان "التدين" شكلا من أشكال الإيمان وتعبيراً رمزياً عن الاعتقاد الديني.

من خصائص الطقس الديني جماعيته وشموليته أي أنه يمارس جماعياً ويشمل جميع الأفراد الحاملين لنفس المعتقد، وهذه الخاصية لا تجعلها تنفي فرديته، فإن كانت هناك بعض الطقوس تمارس جماعيا كصلاة الجماعة و الحج في الإسلام مثلا، فإن شعائر دينية أخرى مع شموليتها فإنها تمارس من قبل الفرد كالصوم والصلاة، وهنا يمكن للفرد التحايل على الجماعة الدينية وإيهامها بأدائه لهذه الفروض فحين أنه لا يقوم بها، كما قد يقوم بها مع الجماعة إرضاءا للشعور الديني الجماعي لا لشعوره الفردي، وهذا لتطلق عليه صفة "المتدين"، فيكون بذلك التدين هو ذلك الحكم الجماعي الذي تطلقه الجماعة الدينية على الفرد آخذة في الحسبان ما يظهره هذا الفرد من سلوك "ديني".

تختلف درجة التدين من شخص إلى آخر فلا يمكن قياسها ولكن يمكن الحكم على وجودها وهذا بالنظر إلى السلوك الديني الخارجي الذي يبديه الشخص، فمع أن المظاهر السلوكية لا تعتبر مقياسا للحكم على الأشياء، فإن المجتمع قد جعل منها مقياسا لذلك وحتى في مجال الدراسات الاجتماعية وجمع الإحصاءات الأولية فإن هذه المظاهر والسلوكات الدينية الممثلة في طقوس عباداتية تؤخذ بعين الحسبان وتدخل في بحث ودراسة ظاهرة دينية ما، سواء في حساب نسب ومعدلات أداء الفرض الديني أو في تتبع مسار نشوء وتطور ظاهرة دينية ما، من خلال تتبع سلوكات الفاعلين الدينيين المنتمين للحقل التفاعلي العام الخاص بتكون وسير اتجاه الظاهرة.

مما لا شك فيه في أي اعتقاد ديني اختلاف الممارسات الدينية التعبدية في الدين الواحد من مجتمع إلى آخر ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى ومن فئة عمرية إلى فئة أخرى، فنقول دائما في الدراسات السوسيودينية بأن الدين يسطبغ باللون المحلي للمجتمع فيتأثر بالقيم والعادات والتقاليد الاجتماعية، وكما تؤثر فيه البيئة الاجتماعية تؤثر فيه البيئة الجغرافية، وفي تحوله هذا يختلف كذلك من جماعة عرقية إلى جماعة أخرى ومن طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى، لتشكل الممارسة الدينية تعبيراً طقسياً لا عن الانتماء الديني بل وعن الانتماء العرقي والطبقي كذلك.

يعتبر عامل السن من عوامل تحديد طبيعة التدّين فللعمر دور مهم في صياغة وجهات نظر الأشياء، قد يظهر للبعض بأن الاعتقاد الديني أو في أحسن الأحوال "الإيمان" بمعتقد ما لا يفرق بين كبير وصغير إذ يطلب من المنتمي إلى دين ما الإيمان الكامل والخالص، لكن الأمر يختلف من حيث الممارسة والتطبيق، إن ما يهمنا هنا هو بحث أشكال التدين وطبيعته عند تلك الفئة العمرية التي تعرف بفئة

الشباب، فكيف تنظر فئة الشباب إلى الدين، كيف تمارس تدينها وسط مجموع متغيرات الواقع، وهل ترى في الخطاب الديني المنبري اليوم خطاباً منتجاً ومشكلاً حول الواقع الاجتماعي، و بالأخص حول واقعها؟

4-1.التدين عند الشباب

بلغ عدد سكان ولاية معسكر حسب الإحصاء السكاني لـ2010/12/31، 828433 نسمة، أما عدد سكان المدينة فبلغ 114730 ن، بنسبة تقدر بـ 13.84% من سكان الولاية، وبلغ عدد شباب الولاية الذكور المتراوحة أعمارهم ما بين 20-34 سنة الـ124498 ن، أما عدد الشباب الذكور بالمدينة فبلغ 15368 أي ما نسبته 12.34%، وتمثل نسبة الشباب الذكور بالولاية 15.03% بالنسبة للعدد الإجمالي للسكان، أما شباب المدينة الذكور فيشكلون نسبة 13.39% من العدد الإجمالي لسكان المدينة.

كان اشتغالنا على عينة مكونة من ثلاثة عشرة شاباً من شباب مدينة معسكر حاولنا خلال لقائنا بهم كشف خبايا حياتهم الاجتماعية وتجربتهم الدينية، فكان أن طرحنا عليهم مجموعة من الأسئلة أردنا من خلالها فهم طبيعة التدين عندهم كشباب ومعرفة طرق ممارستها.

المعطيات السوسيومهنية

1. السن

السن	التكرارات	%
25-18	02	15.38
30-25	09	69.23
35-30	02	15.38
المجموع	13	100

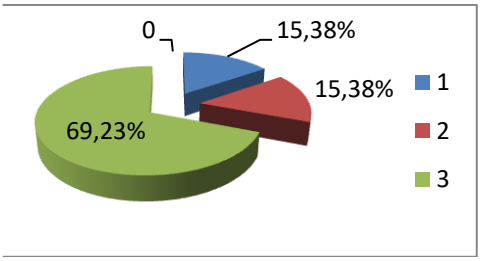

نلاحظ أن نسبة 69.23% من الشباب المبحوثين تتراوح أعمارهم بين 25 و30 سنة، وهي الفترة العمرية التي تتوضح فيها احتياجات الشخص ومطالبه اجتماعيا وتكتمل فيها شخصيته نفسيا، إنها الفترة التي يخرج فيها من مرحلة المراهقة ليبدأ بتنظيم حياته فتتغير نظرته اتجاه الأشياء المادية والقيم المعنوية،

ويحاول هنا بناء ذاته وتشكيل هويته وحين يجد نفسه في مفترق طرق فإنه يعمل على اختيار الطريق الذي يراه متفقا وخبراته وملائما لخيراته ويسلكه، إنها مرحلة التفكير الجدي في كل شيء فإما يبني فيها الشخص حياته طبقا لمجموع الظروف المحيطة به والمساعدة على نجاحه، وإما يفشل طبقا كذلك لمجموع ظروف أخرى كانت السبب في تعثره ليحول هو نفسه هذا التعثر إلى فشل حقيقي ونهائي، وكما يحدد لنا السن وجهات نظر الشخص الاجتماعية يحدد لنا كذلك وجهات نظره الدينية خصوصا خلال هذه الفترة المصيرية من فترات الشباب.

تمثلت المتغيرات السوسيومهنية الخاصة بالمبحوثين والمتعلقة بكل من المستوى الدراسي، الشهادة الدراسية أو المهنية المحصل عليها، المهنة، الحالة المهنية، الحالة المدنية والأصل الاجتماعي للمبحوث، إذ تساعدنا معرفة مثل هذه البيانات الأولية على تفريغ المعلومات والمعطيات المحصل عليها وأكثر من هذا على تحليلها وفهمها، فكل متغير من هذه المتغيرات له دور في التأثير على الممارسات الاجتماعية والممارسات الدينية الطقسية.

جدول رقم (01)

المبحوث	المستوى الدراسي	الشهادة الدراسية	المهنة	الحالة المهنية	الحالة المدنية	الأصل الاجتماعي
01	جامعي	Bac	طالب	/	عازب	ريفي
02	ثانوي	تقني سامي في الإعلام الآلي	موظف	متعاقد	متزوج	حضري
03	جامعي	ليسانس	موظف	مؤقت	عازب	حضري
04	جامعي	مهندس	مهندس	مؤقت	عازب	حضري
05	جامعي	ليسانس	موظف	مؤقت	عازب	حضري
06	جامعي	ليسانس	موظف	مؤقت	عازب	ريفي

07	ثانوي	تقني سامي في الإعلام الآلي	موظف	دائم	متزوج	حضري
08	ثانوي	/	بطال	/	عازب	ريفي
09	متوسط	/	بطال	/	عازب	ريفي
10	متوسط	/	بطال	/	متزوج	ريفي
11	جامعي	Bac	طالب	/	عازب	حضري
12	جامعي	مهندس	مهندس	متعاقد	عازب	حضري
13	جامعي	ماجستير	مهندس	متعاقد	عازب	ريفي

يوضح الجدول أن نسبة 61.54% من الشباب مستواهم الدراسي جامعي ونسبة 23.08% مستواهم ثانوي و15.38% مستواهم متوسط، أما عن العمل فإن نسبة الموظفين فبلغت61.54% منهم 50% موظفون مؤقتون و37.5% موظفون عن طريق عقود التشغيل و موظف واحد دائم أي ما يشكل نسبة 12.5%، و نسبة 23.08% من المبحوثين بطالين و15.38% طلبة، عن الحالة المدنية للمبحوثين فإن ما نسبته 76.92% من المبحوثين عزاب ونسبة 23.08% متزوجون، وفيما يخص الأصل الاجتماعي للمبحوثين، فإن 53.85% منهم ذوي أصول حضرية و46.15% ذوي أصول ريفية.

كان أول سؤال طرحناه على المبحوثين في محور الرابع من محاور أسئلة المقابلة الحامل عنوان الشباب والتدين يتعلق ببحث ما يعنيه ويمثله لهم الدين، فجاءت أغلب نسب إجابات المبحوثين تتراوح بين النظر إلى الدين كعنصر أساسي ومهم في الحياة و بين النظر إليه كعبادة لله.

جدول رقم (02)

الإجابات	ت	النسب
عنصر أساسي في الحياة	06	46.16
عبادة الله	05	38.46

منهجية في الحياة	01	7.69
تذكر الموت	01	7.69

حول سؤالنا لهم عن الاهتمام بالتصوف والطرق الصوفية وزيارة الأولياء رد الشباب بما يلي: نسبة 69.23% من المبحوثين قالت أنها لا تؤمن بالطرقية ولا تحبذها وتراها بدعاً فيها شرك بالله، وكان أحد المبحوثين وهو المبحوث رقم(13) الذي يقول"لا حرام وشكيل بصح يعجبوني لوعادي فزيارة الأولياء يلهى فيها الواحد كيما السياحة تقاليد مليحة، وحنا نديروا الوعدة فدّار"، أما المبحوث رقم (06) الذي يقول"لا هذا شرك لكننا نرى أن الدولة تعمل اليوم على تسيير الزوايا و دعمها بالمال"، أما باقي الإجابات فأخذت كل واحدة نسبة 15.38% كما يوضح الجدول رقم(15)، وحول المهتمين بالتصوف والطرقية يقول المبحوث رقم (05):"نعم أنا أؤمن بها لأنها تعلمنا الدين وتعلمنا المعاملة".

جدول رقم (03)

الفئات / الإجابات	ت	%
بدع وشرك	09	69.23
نعم أهتم بها	02	15.38
لا لم أتربى عليها	02	15.38

إن كل هذه الإجابات التي وردت حول هذا النوع من التدين الشعبي تلفت نظرنا، فنلاحظ كيف جاءت إجابة المبحوث رقم(13) رافضة لهذا النوع من "التدين" الذي وصفه المبحوث بالمحرم، وهذا الحكم الديني كما هو معروف كاف لأخذ موقف من الشيء المحرم برفضه وشجبه، لكنه يواصل في سياق إجابته قائلا بأنه يفضل الولائم الطرقية المعروفة باسم "الوعادي" الخاصة بكل ولي من أولياء الله، فهي في رأيه تقاليد شعبية تروح عن النفس وتشبه في ذلك السياحة كما تمارس من قبل أهل المبحوث.

يبدو هذا الكلام متناقضاً بين تحريم الشيء من جهة وتفضيله من جهة أخرى، وهو يعبر عن موقف مبرر سوسيولوجياً، فالمحرم هو تلك الممارسات الطرقية التي تبدوا شاذة أما المفضل فهو ذلك

الطقس الاجتماعي المرتبط بالطرقية والممارس اجتماعيا من قبل كثيرين، إنه يمثل تقليداً "دينيا شعبيا" متعارفا عليه يجمع الناس ويقرب بينهم ويشعرهم بنوع من التضامن الاجتماعي، وإن إجابة المبحوث وإن جاءت بناءا على ما عايشه هو في عائلته إلا أنه قدم نوعا من "التحليل السوسيولوجي" البسيط المرتبط بالمعاش حين قال"يلهى فيها الواحد وكيما السياحة"، كما تؤكد لنا نسبة 15.38% من الإجابات التي قال أصحابها أنهم لم يتربوا على مثل هذه العادات مدى التأثير الذي تتركه الممارسة الأسرية والاجتماعية المحيطة على نفسية الفرد، وفي إطار نفس الإجابات التي يقول أصحابها بعدم اهتمامهم سواء بالتصوف كاتجاه نظري ديني وفلسفي أو بالطرقية كممارسة جاءت –كما رأينا– إجابة المبحوث رقم (06) تقول بأن الدولة تقوم بتسيير ودعم الطرق الصوفية.

إن مثل هذا العمل الذي تقوم به الدولة هو استراتيجية مدروسة أرادت من خلالها خلق منافس ديني شعبي نابع من أعماق المجتمع، ليقف في وجه التيار الإسلامي ويحد من تنامي هذا الاتجاه الديني "المزعج" المختلط بما هو سياسي أكثر من غيره، إن ذلك الاهتمام والتشجيع الذي لاقته الزوايا نلاحظه بادياً في عودة تلك الممارسات الطرقية، كما نقرأه في بعض المنشورات الرسمية ومنها مثلا رسالة المسجد الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والموجهة للأئمة، والتي نقرأ في بعض أعدادها مواضيع تشير للزوايا ودورها الاجتماعي والديني في رغبة منها لإعادة رد الاعتبار لها ف" لقد عمل البعض لإنهاء دور الزوايا بتعطيل التعليم الشرعي فيها، وحاولوا عزلها عن محيطها الاجتماعي وعمقها الشعبي وسعوا للقضاء على عناصر وجودها ومواردها بمصادرة أوقافها، والنتيجة عشناها وما زلنا نعيش أثارها السيئة: الفراغ الروحي، والاغتراب الثقافي، والغلو في الدين، وسوء الفهم للإسلام ومقاصد شريعته السمحة، وطغيان الحياة المادية وانحسار القيم و الأخلاق الإسلامية، فعرفت طائفة من شباب الأمة ظاهرة الغلو والتشدد وتجاوز الاعتدال، و أصيبت أخرى بآفة الانغلاق الفكري المفضي على الجمود، وزعم البعض أنهم يصدرون عن العقيدة السلفية وهم في الواقع يتبعون منهجا لم يصدر فكره للأمة سوى جفاف الأرواح واختلاف القلوب"[4]

إن كاتب هذه الأسطر شيخ زاوية الهامل – بوسعادة، نلاحظ كيف أن أغلب شيوخ الزوايا هم من يكلفون بالكتابة في بعض المنشورات التي تصدر عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف عن موضوع هم أدرى به من غيرهم، مع العلم أن هذه المنشورات توجه بالدرجة الأولى إلى المشتغلين بالسلك الديني وأول هؤلاء هم الأئمة المعدون للخطب الدينية ليوم الجمعة.

حول الاهتمام بالتصوف وبالطرقية تمثلت إجابة المبحوث رقم(05) معتبرة أن مثل هذه الطرق هي التي تعلم الدين وتعلم المعاملة، فلقد اعتبر التصوف الطرقي المعبر الأوحد عن الدين الشعبي الصافي والمتسامح والقريب من قلوب العامة، العاكس لبنية وتركيبة واقعها الاجتماعي وفي نفس الوقت المعبر عن مداركها العقلية و تمثلاتها الدينية البسيطة، إن رأي الأقلية هذا هو الرأي الذي قد يعبر لنا فعلا عن ما هو موجود في الواقع فربما يمثل رأي الأقلية الساحقة في مقابل رأي الأغلبية المغلوبة ذلك الجزء المظلم من الحقيقة المسكوت عنها.

تتوطد العلاقة بين المؤمن والطقوس الدينية فممارستها تعكس لديه الإحساس بالانتماء العقائدي لجماعة دينية معينة، وفي هذا الخصوص أردنا معرفة تلك العلاقة التي تربط الشباب بالطقوس الدينية ومنها طقس الصلاة هل يؤدونها في أوقاتها مثلا، فكان أن أجابت نسبة 76.92% بالقول أحيانا، ونسبة 15.38% ردت بنعم و7.69% أجابت بلا، وحول أداء الصلاة بالمسجد أجابت نسبة 53.85% بنعم و38.46% قالت أحياناً و7،69% قالت لا ومثلت هذه النسبة إجابة المبحوث رقم (11)، الذي قال لنا بأنه لا يصلي في الوقت الحالي وكان سابقا يصلي ثم ينقطع عن الصلاة ثم يرجع لها، أما عن الدور الذي يقوم به المسجد اليوم في نظر الشباب فقد بينا هذا حين بحثنا موضوع الإمام والمسجد، فرأينا أن أكبر نسبة من إجابات الشباب والتي مثلت 46.15% ترى بأن المسجد اليوم لا يوجد له أي دور، تليها نسبة 38.46% رأت أن دوره يقتصر على احتضان صلاة الجماعة.

إن ما نسميه بالعلاقة الروحية التي تجمع بين "المؤمن" و"الطقس الديني" تتضح لنا أكثر من خلال تلك الممارسات الدينية التي تتم بإشراف جماعي، كما هو الحال في صلاة الجمعة وأداء باقي الصلوات بالمسجد مثلاً، إن كل ممارسة دينية جماعية إلا وتوضع تحت رقابة اجتماعية من طرف الفاعلين الدينيين المشاركين في نفس الممارسة، فإما تدخل تلك "الرقابة" الجماعية ممارسة الشخص داخل إطار التزكية الدينية وإما تخرجه منها، وفي ارتباط الديني بالاجتماعي فإن حرمان الشخص من الرضا الديني الجماعي يعرضه لنوعين من الإقصاء الأول ديني والثاني اجتماعي، هنا يلجأ "المؤمن" إلى طرق تكسبه رضا الجماعة الدينية ومنها المداومة على حضور الطقس الديني الجماعي وإشهاره بأدائه ومواظبته على باقي الفروض الدينية، وفي هذا أردنا معرفة رأي المبحوثين حول بعض الشباب وغيرهم من الذين يحرصون على حضور صلاة الجمعة في المسجد في حين قد لا يؤدون باقي الصلوات، كما قد يعلن البعض أمام الناس

عن أداءه لفريضة دينية ما كالزكاة أو قيامه ببعض النوافل كالصلاة والصيام أو عن تقديمه للصدقات وغيرها من الأعمال، فكان رد المبحوثين كالتالي:

جدول رقم (04)

الإجابات / الفئات	ت	%
الإيمان و العبادة الخالصة لله.	01	07.69
برستيج أي مظهر اجتماعي.	02	15.38
تغطية عن أشياء دنيوية ما.	02	15.38
لفت انتباه الناس لنيل نوع من الرضا الديني لتأمين كسب ثقتهم.	08	61.54

يظهر من خلال الجدول أن نسبة 61.54% من الإجابات اختارت الاقتراح رقم أربعة من بين الاقتراحات الأربع المطروحة كخيارات للإجابة، فإعلان الشخص عن قيامه ببعض الممارسات الدينية فيه لفت لانتباه الناس بهدف نيل ما أسميناه "بالرضا الديني" لتأمين كسب ثقتهم، وهذه الثقة يحتاجها الواحد خلال قيامه بعمل من الأعمال، واعتبر هؤلاء المبحوثين أن التاجر والصائغ والفلاح وكل من له عمل يتطلب التعامل مع الناس يبيعهم ويشتري منهم هو في حاجة لنيل هذا الرضا الديني، إن التزكية الدينية والاجتماعية التي يقدمها أفراد المجتمع لبعضهم البعض هم جميعا بحاجة إليها لتسهيل أعمالهم، فحرمان الشخص من هذه التزكية هو قهر وغبن اجتماعي أكثر منه ديني.

في الدين الواحد تتعدد الفرق والمذاهب الدينية والسياسية وهذا التعدد والاختلاف نابع من تلك القراءات والتأويلات التي تحظى بها كل ديانة بعد أن تصبح تاريخية، إن اتخاذ الدين للخط الأرضي بعد أن كان ذا خط سماوي يجعله يلبس لباسا ناسوتيا اجتماعيا، وهنا تبدأ تلك التوظيفات النفعية للدين والتي تتخذ من الماورائي ستاراً تحاول من خلاله بلوغ أهداف وغايات دنيوية، إنها العملية التي يتم من خلالها احتكار الرأسمال الرمزي وتوجيهه الوجهة المطلوبة.

خلال مقابلتنا مع المبحوثين أردنا معرفة المذهب الديني الذي يتبعونه، فجاءت الإجابات كما هو موضح في الجدول رقم (17) كالتالي: نسبة 53.85% قالوا بإتباعهم المذهب السني دون أي إضافات أو تعليقات منهم قائلين فقط اقتداء بالرسول وأصحابه، فيما حددت نسبة 30.77% بإتباع المذهب السني على الطريقة المالكية وكان المبحوث رقم(07) قد قال لنا: "أنا أتبع المالكية لأنها المذهب

الذي تربية و كبرت عليه"، وجاءت إجابة المبحوث رقم (04) والتي مثلت نسبة 07.69% من مجموع الإجابات قائلا فيها: "أنا متعاطف مع المذهب السلفي لأني أرى فيه التغيير الاجتماعي"، أما المبحوث رقم (06) فرد قائلا:"لا أتبع أي مذهب أتبع إسلامي وصلاتي وأنا مع كل المذاهب الخادمة للدين، فالإسلام واحد والمذاهب مجرد تأويلات".

جدول رقم(05)

الإجابات / الفئات	ت	%
سني	07	53،85
سني مالكي	04	30،77
متعاطف مع المذهب السلفي	01	07،69
لا أتبع أي مذهب	01	07،69

الإجابة التي استوقفتنا هنا من بين الإجابات الأخرى للمبحوثين إجابة المبحوث رقم (04) الذي قال في سياق كلامه بتعاطفه مع المذهب السلفي الذي رأى فيه التغيير الاجتماعي، قد يقال لنا هنا بأن إجابة مبحوث واحد وفي هذا العدد الصغير من عينة البحث التي اعتمدناها لا تعبر عن الواقع، ولكن ما يعبر عن الواقع في دراسات كالدراسات السوسيولوجية ليس دائما العدد الكبير من نسب الإجابات والردود المتساوية أو المتقاربة بل كذلك نسب الإجابات القليلة والمختلفة، فالمثل القائل بأن الشاذ يحصى ولا يقاس عليه لا ينطبق على الدراسات والتحليلات الاجتماعية، إن ما يعتبر أقلية مسحوقة قد يشكل أحيانا أقلية ساحقة لأن الحقيقة الاجتماعية من أصعب الحقائق التي يمكن تحصيلها فهي محاطة دائما بالألغام و سياج الحذر الذي يلفها من الصعب اختراقه، ويبقى الباحث الاجتماعي في مثل هذه المواقف متحفظا دائما في أحكامه واستنتاجاته.

إن أول ما عمل عليه الخطاب السلفي للجماعات الإسلامية هو القيام باستمالة فئة الشباب وتعبئتها سياسيا بكل وسائل وأساليب"الدعوة الروحية"، الدعوة التي تغذى دينيا لتشبع متلقيها روحيا كونها تخاطب فيه الجانب الروحي لتسهل من ثمة عملية استمالته، وهذا ما حدث في الجزائر وفي غيرها من الدول العربية قبل أن تنهار قلاع الإسلاموية، ويتفطن الناس إلى معرفة أنهم لم يكونوا في هذه اللعبة السياسية سوى حقول تجارب لدى السلطة والمعارضة معا، لقد لعبت هذه الجماعات على الوتر الديني كما لعبت عليه السلطة مستغلة الوضع الاجتماعي والتدهور الاقتصادي ففي الجزائر"تعاملت كل من

السلطة وحركة الدعوة الإسلامية مع انتفاضة أكتوبر 1988 بطريقة متباينة إذا اتخذ كل منهما الدين متكأ، هذا المخزون الشعبي الحاضر الغائب أبدا في السياسة الجزائرية تم توظيفه بطريقة انتقائية تستجيب و الظرف الطارئ الذي أفرزته حركة أكتوبر 1988" [(5)].

فكان مجتمع البائسين المهمشين اجتماعيا والمعزولين سياسيا والمحبطين نفسيا والمحطمين معيشيا من فئة الشباب خاصة، الفئة التي احتضنتها الجماعات الإسلامية ووظفتها في عملياتها التعبوية بدعوى أسلمة (*réislamisation*) المجتمع، لقد شكل الإسلام هنا كدين أيديولوجيا تعبوية قادرة على الحشد والتجييش، وعن طريقه أنتجت الجبهة الإسلامية في الجزائر وغيرها من الجماعات الإسلامية الأخرى في الوطن العربي خطابات سياسية خاطبت بها مجتمعات مكبوتة فكان الانفجار، إن هذه "الحركية الإسلاموية تشكل كما هائلا من الاحتياجات والمطالب والتركيبات الأيديولوجية وأحلام اليقظة الجماعية والهلوسات الفردية التي لا تحيلنا إلى الإسلام كدين أو كتراث فكري، وإنما إلى مقدرة كل أيديولوجيا كبرى على تحريك المتخيل الاجتماعي وتغذيته وإشعال لهيبه"[(6)].

إن ما رآه المبحوث فيما سماه هو بالمذهب السلفي من حمله للتغيير الاجتماعي هو ما رآه غيره من الشباب العرب في السلفية الإسلاموية، وهو ما لا يزال يراه البعض منهم اليوم، إن كل تلك المطامح والآمال الاجتماعية للشباب ترجموها حين فشلوا عن تحقيقها في أرض الواقع في تلك النظرة الدينية المتزمتة الحاقدة، النظرة التي كانت وما تزال تعتقد أنها على الطريق الحق وأن سبيلها هو السبيل الوحيد للتغيير الاجتماعي و لتحقيق دولة الإسلام.

4-2. الشباب والخطاب المسجدي

كان أول سؤال طرحناه على المبحوثين بعد أن علمنا حضورهم صلاة الجمعة يتعلق برأيهم كشباب في خطب الأئمة، فجاءت ردودهم كما هي موضحة في الجدول كالتالي:

جدول رقم (06)

الفئات / الإجابات	ت	%

سطحية	04	30.77
مكررة ومتداولة وبعيدة عن الواقع	05	38.46
مبرمجة ومقيدة	04	30.77

نلاحظ أن نسبة 30.77% من الإجابات اعتبرت أن خطب الأئمة هي خطب سطحية، فيما اعتبرتها نفس النسبة من الآراء خطبا مبرمجة ومقيدة، ونسبة 38.46% من إجابات المبحوثين رأت أنها خطبا مكررة ومتداولة وبعيدة عن الواقع، قال لنا المبحوث رقم (12): "خطب الجمعة خطب كلاسيكية تقليدية وغير متماشية مع العصر، الإسلام راه في14 siècle وما زالوا يعلموا فينا كيفاش نتوضوا وكيفاش نصلوا ومخليين أمور أخرى"، أما المبحوث رقم(13) فقال لنا: "الإمام صاحب رسالة لكن اليوم رسالته غير كاملة ولا تصل، وهو يعرف هذا لكنه يتعلق بالبدائي، فالدين يجب أن يكون في تجديد حسب تجدد الواقع ولا يحكي لنا القصص، هناك من ينام أثناء خطبة الإمام، مهنة الإمام أصعب مهنة، والإمام عندنا لا يشتغل، إمام خامل ما عدى يوم الجمعة يقرى هذيك الورقة ويرقد وأحيانا لا يعرف كيف يقرؤها، الإمام لا يحضر أحيانا باقي الصلوات ويقول أنا إمام ويغش في عمله وهو أجير، ما يخدموش، مهنة الإمام ليست مهنة خمود أو نوم ولا مادة أدبية ليقرأ خطبة جاهزة يجب أن يكون الإمام active، كاين إمام يتبع النسا والمال وكاين لي يتبع المذاهب الإمام عنا ميطبقش على نفسه، حرام على الناس وحلال عليه".

في سؤالنا للمبحوثين الشباب عن المواضيع التي يركز عليها الأئمة في خطبهم جاءت الإجابات كما يلي: المناسبات والمواسم بنسبة 61.54%، المواضيع الدينية بنسبة 30.77%، مشاكل الواقع بنسبة 07.69%، قال لنا المبحوث رقم (07) في رد منه على هذا السؤال: "خطب المناسبات والمواسم ليس لها أي مدلول اجتماعي ولا تؤدي أي دور وما تزال بعيدة عن الواقع، أنا ملي بديت نصلي و أنا صغير الخطب هي نفسها ما تغيرتش"، وفي هذا يحضرنا رأي أحد المبحوثين الشباب الذين التقيناهم أثناء قيامنا ببعض المقابلات التجريبية، قال لنا هذا المبحوث: "كي نخرج ملجامع ننسى شهدر الإمام"، وكان أن سألنا الشباب كذلك حول المواضيع التي تستهويهم أو تجذب اهتمامهم في خطب الأئمة فجاء الرد كما هو موضح في الجدول رقم (07) كما يلي:

جدول رقم (07)

الإجابات / الفئات	ت	%
أمور الدين عامة	07	53،85
سيرة الرسول والصحابة	02	15،38
قصص الأنبياء	02	15،38
الزواج و المهر	01	07،69
لا توجد	01	07،69

يبدو الواقع الاجتماعي في نظر أفراد العينة، هاما لكنه مغيب فكان اهتمامهم منصباً على باقي المواضيع الدينية، وعن هذا الأمر قال لنا المبحوث رقم (07): "تهمني المواضيع الفقهية فالدين هو الأصل والإنسان بطبعه يريد أن يعرف أكثر، أما المواضيع الاجتماعية فتهمني أكثر من غيرها لكنها لا تطرح، لو كنت أعرف أن أئمة المساجد يطرحون المواضيع الاجتماعية في خطبهم ودروسهم منخرجش ملجامع"، ومن خلال الجدول نرى أن أحد المبحوثين تجذبه في خطب الأئمة مواضيع الزواج والمهر، وهذا يوضح لنا حجم تلك المطالب الحياتية البسيطة التي يحملنا الشباب داخلهم، في ظل تلك الحالة الاجتماعية الصعبة التي يعيشها أغلبهم.

إن السؤال الذي تبع هذه الأسئلة التي تدور كلها في فلك الخطاب الديني للأئمة هو سؤال المبحوثين عن حضورهم في إحدى المرات مثلا خطبة إمام طرح فيها بعض مشاكل الشباب وما يحدث في المجتمع، فجاءت نسبة 69.23% من الإجابات تقول نعم وإن كان الطرح ديني والمعالجة سطحية، ونسبة 30.77% تقول لا.

تبعا للسؤال السابق طرحنا على المبحوثين سؤالا آخر مرتبط بنفس الهدف وهذا من خلال معرفتنا سبب انتقال البعض من مسجد إلى آخر أيام الجمعة، لنحاول هنا ربط هذا الانتقال بخطاب الإمام فجاءت الإجابات وبحسب الخيارات التي وضعناها كالتالي

جدول رقم (08)

الفئات / الإجابات	ت	%
وسيلة لإثراء الثقافة الدينية	03	23.08
تفضيل إمام على إمام آخر بحسب مواضيع خطبه	03	23.08
كسب ثواب بعدد الخطوات	04	30.77
تجنب إمام الحي لسبب ما	02	15.38
تجنب ملاقاة بعض سكان الحي لأسباب ما.	01	07.69

ما يهمنا من بين هذه الإجابات هو الخيار الرابع الذي أرجع فيه البعض سبب انتقالهم من مسجد إلى آخر أيام الجمع إلى تجنب إمام الحي، وقبل هذا السؤال جاء السؤال رقم(06) من نفس المحور، المحور الخامس من أسئلة المقابلة الخاصة بالشباب، يسأل المبحوثين عن استعمال بعض الأئمة لأسلوب التجريح ضد أناس معينين أيام الجمعة وأثناء الخطب، وفي الرد على هذا السؤل قالت نسبة 84.62% من المبحوثين بحضور مثل هذا الموقف الذي رفضوه واعتبروه خارج اختصاصات الإمام، وفي المقابل يعتبر الأئمة علاقاتهم مع سكان حيهم ومع المصلين علاقات جيدة، فحين يقول المستجوبين الشباب بعكس ذلك.

إن كل ما قاله لنا الشباب عن خطب الجمعة تقابله آراء أخرى لأئمة المساجد، ويظهر هذا من خلال مقابلاتنا مع الأئمة، فمثلا حين سألنا الأئمة حول عودتهم للواقع أثناء تحضير خطبهم أجابوا جميعا بنعم مؤكدين أن الواقع هو ملهمهم الأول، قال لنا المبحوث رقم (02): "نعم فالعالم إذا لم يدري ما يدور حوله فهو يخطب في الهواء"، وقال المبحوث رقم (06): "نعم الخطيب يجعل الواقع نصب عينيه وإلا فشل خطابه"، أما المبحوث رقم (08) فقال لنا: "نعم الواقع هو البوصلة التي تحدد لي الجهة في اختيار الموضوع ولا شك أنه مصدر إلهام كبير، فما الخطاب المسجدي في أصله إلا علاج لأمراض الواقع"، وفي توجيه الأئمة لخطابهم فإن نسبة 50% من الإجابات قال لنا أصحابها بأنهم يحرصون على أن يوجه خطابهم لفئة الشباب، فيما قالت 50% الأخرى بأنها توجه محتوى خطابها لكل الفئات بدون استثناء، قال لنا المبحوث رقم (01): "أوجه خطابي للشباب فهم المستقبل، كما أن الشاب يسمع ويريد الفهم لكن

الكبير ينس و لا يبحث عن الفهم"، أما المبحوث رقم (03) فقال لنا: "لا أحبذ فئة دون فئة أخرى أتمنى أن يعي خطابي الجميع"، وعن سؤالنا بوجود تجاوب مع خطبهم أكدوا جميعا بوجوده، فقالت نسبة 50% بأن كل الفئات تتجاوب مع خطابها، وقالت نسبة 37.5%، بأن التجاوب يكون لدى الشباب أكثر من غيرهم، فيما رأت 12.5% بأن الفئة المثقفة هي الفئة التي تتجاوب أكثر من غيرها، والمؤشرات التي جعلتهم يستدلون على ذلك هي في رأي 62.5% من الأئمة المبحوثين الأسئلة والاستفسارات، وفي رأي 25% منهم أصداء الناس و آراؤهم، وفي نظر 12.5% امتلاء المسجد يوم الجمعة بالمصلين، وفي هذا الصدد قال لنا المبحوث رقم (04): "مؤشر الإعجاب بالموضوع من خلال السؤال بعد الخطبة، فكلما أعجب المأموم بالخطبة يأتيك ويطلب منك أن تعيد الموضوع".

من خلال كل ما قيل حول الخطاب الديني المسجدي والواقع الاجتماعي يظهر لنا ذلك التناقض والاختلاف بين أراء الأئمة من جهة وأراء الشباب من جهة أخرى، ففي الوقت الذي يقول فيه أغلب المبحوثين الشباب ببعد الخطاب المسجدي عن الواقع، وبعده عن تصوير هموم ومشاكل المجتمع ومشاكلهم كشباب بالدرجة الأولى، يقول الأئمة من جهة أخرى أنهم يحرصون كل الحرص على معالجة الواقع فخطابهم ينبع من الواقع ويتضمن مشاكله، وبين هؤلاء وأولئك علينا أن نفهم ما الذي يعنيه كلا الطرفين بالواقع كيف يتصوره وينظر إليه كل منهما، فليس بالضرورة أن يحمل طرف ما نفس المعنى والمفهوم الذي لدى الطرف الآخر؟

إن الواقع الاجتماعي كحقيقة وكحدث معاش نتقاسمه ونعيشه جميعا لكنه كوضع تجريبي معاش فإنه يختلف من طبقة اجتماعية إلى أخرى ومن فئة عمرية إلى أخرى داخل المجتمع الواحد، فلكل واحد منا واقعه الخاص الذي يعيشه وحده وواقعه الجماعي الذي يتقاسمه مع غيره من أفراد محيطه ومجتمعه، إن ما نعيشه اجتماعيا ونشعر به نفسيا هو الذي يرسم ويحدد لنا نظرتنا اتجاه الأشياء والأفكار، فما يشكل الواقع بالنسبة لشخص ما لن يشكل بالضرورة الواقع نفسه وبتفاصيله لدى شخص آخر، وإن التقى في بعض النقاط المشتركة بين كل أفراد المجتمع الواحد والمشكلة للواقع الجماعي العام، بهذا فإن ما يراه الشباب كواقع لا يراه غيرهم، فالواقع الاجتماعي عند الشاب مرتبط بما يعيشه هو وبما يتصوره هو عن الحياة، فالبطالة والعمل والدراسة والمال والفقر والسفر والسيارة والعلاقات الخاصة والعامة والتدخين والخمر والجنس والزواج وغيرها كلها أمور تشغل بال الشاب، إن ما يعانيه وما يحرم منه وما يعجز عن بلوغه وتحقيقه هو ما يشكل واقعه.

أما الواقع الاجتماعي عند الإمام أو على الأقل كما يرسمه في خطبه فهو واقع يعيشه ويتصوره داخل حدود النص وكي لا نقول واقع النص فهو واقع مختلط بالنص الديني، إن كل قضية إلا وتعالج لدى الأئمة برؤية دينية والمعروف أن الرؤية الدينية تقدم إجابات جاهزة وتتصور الحل مسبقا، لن ننتظر أن يناقش الإمام في خطاب ديني قضايا اجتماعية بنفس الدرجة التي يناقش بها الباحث الاجتماعي مثلا بل ستظل المناقشة دينية دوما، وهذا ما يدفعنا إلى طرح سؤال كنا قد طرحنا مثله في بداية هذا البحث، هل الإمام هنا كشخصية دينية وكرجل دين معني بطرح وبمناقشة قضايا اجتماعية في خطاب يوصف بأنه خطاب ديني في الأساس؟[7].

الفضول إلى المعرفة عامة وإلى معرفة المزيد عن حياتنا وعن حياة الذوات والأشياء التي تحيط بنا خاصة، طبع من طباعنا كبشر، إن كشف خبايا المستور هم يلاحق الإنسان وحياته الدينية كانت أول وأهم محطة شغلت باله وأخذت بتفكيره، فكانت الأديان هي التي أجابت الإنسان عن كل تلك الأسئلة التي كانت تدور في رأسه، وإلى اليوم ما يزال المعتقد الديني هو الوافي الكافي والشافي لذلك الفضول الغيبي للإنسان، وفي هذه المعرفة نسعى دوما إلى ربط حياتنا اليومية بتجربتنا الدينية لنخضع المقدس في سبيل شرعنة المدنس، فما نطلبه من شروح وفتاوى دينية وإن كنا نريد من خلالها إضفاء الصبغة الدينية على أعمالنا الدنيوية، فإننا نسعى من خلالها في نفس الوقت إلى إرضاء شعورنا الداخلي وهنا نحاول أن نثبت لأنفسنا ولغيرنا أن ما نقوم به لا يخرج عن الإطار الديني.

في بحثنا للخطاب الديني المسجدي عند الأئمة وللواقع الاجتماعي وما يرتبط به من سلوك ديني لدى الشباب، أردنا أن نعرف من الشباب إن كانوا يستفسرون الأئمة عن قضايا دينية ما وما هي أمور دينية التي يستفسرون عنها عادة ويحاولون إيجاد أجوبة لها، فأجابت نسبة 46.15% من الشباب بلا أي أنه لم يسبق لهم أن طلبوا "فتوى" أو استفسروا إمام عن قضية دينية، وأجابت نسبة 53.85% بنعم، والأمور التي يستفسر عنها عادة من أجابوا بنعم منها 71.43% تتعلق بقضايا الميراث، الربا، وما يتعلق به من معاملات تجارية وبنكية وبما سماه المبحوثون بالأمور التجارية كالبيع والشراء بالتقسيط، و28.57% تتعلق بأمور عباداتية كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها، وحين سألناهم إن كانوا يقتنعون بالأجوبة المقدمة لهم أجاب 42.86% بنعم، و28.5% بلا ونسبة 28.57% أجابوا أحيانا مرجعين السبب إلى نقص ثقافة الإمام الدينية والدنيوية، ومن اللذين أجابوا بلا المبحوث رقم (12) الذي قال: "لا أقتنع فقضايا الربا مثلا لا يمد أحد الجواب الشافي فيها".

في الجهة المقابلة أردنا أن نعرف رأي الأئمة في نفس الموضوع فسألناهم إن كانوا قد استفتوا من قبل من طرف المصلين الشباب فأجابوا جميعا بنعم، وحين سألناهم عن المسائل التي يستفسر عنها الشباب جاءت 75% من إجابات الأئمة المبحوثين تقول بأن الأمور الدنيوية كالزواج، مشاكل العمل، المخدرات، الخمور، الخلافات والمعاملات التجارية هي أهم وأكثر القضايا التي يسأل عنها الشباب، و25% من الإجابات تقول باستفتاء الشباب في بعض الأمور الدينية، يقول المبحوث رقم(04)"يستفتوني في مشاكل العمل وما يدور في فلكه كالربا والقروض، في الزواج، الخطبة، المهر، العلاقات الاجتماعية والعاطفية وعلاقاتهم مع أهلهم"، وللإشارة فقط فإننا كنا قد طرحنا على الأئمة في محور الإمام والتكوين الديني سؤالا يقول: "في رأيك من هم أهل الفتوى؟"، فجاءت الآراء كالتالي:

جدول رقم (09)

الفئات / الإجابات	إمام أستاذ		إمام مدرس		إمام معلم		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
المجلس العلمي	01	33.33	02	66.67	02	100	05	62،5
أهل العلم	02	66.67	01	33.33	0	0	03	37،5
المجموع	03	100	03	100	02	100	08	100

يظهر لنا من خلال الجدول أن نسبة 62.5% من الأئمة يرون أنه من الضروري أن يتشكل مجلس علمي ولائي يتكون من أئمة اختارتهم لجنة ولائية بناءا على شروط محددة، و هذا السؤال طرحناه على مفتش ومدير سابق لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية معسكر يشرف حاليا على إعطاء أئمة الولاية دروسا خصوصية لتحسين المستوي، وهو رئيس فرع جمعية العلماء المسلمين بمعسكر، فأجابنا قائلا: "يجب تشكيل مجالس علمية منتخبة ولا يشكلها المدراء، وما زلنا لحد الآن نطالب بتعيين مفتي الجمهورية ولم يتم تعيينه"، والمفتي " من صفته وشروطه أن يكون مسلما عادلا مكلفا فقيها مجتهدا يقظا صحيح الذهن والفكر والتصرف في الفقه وما يتعلق به، أما اشتراط إسلامه وتكليفه وعدالته فبالإجماع

لأنه يخبر عن الله تعالى بحكمه فاعتبر إسلامه وعدالته لتحصل الثقة بقوله "[8]. ولا ننسى بأن أهم شرط من شروط الفتوى مراعات الواقع فعلى أساسه وبناءا على متغيراته طلبت الفتوى لذا فإن المفتي" ليس له أن يفتي بما سمع من مفت وإنما يجوز له أن يعمل هو به، ولا يفتي بالحكاية من غيره بل باجتهاد منه، لأنه إنما سئل عما عنده "[9].

أردنا أن نعرف عن تصورات الشباب واهتماماتهم من خلال الأئمة هذه المرة لا عن استفتاءات هؤلاء الشباب، بالعودة للخطاب المسجدي وعن المواضيع التي يلاحظ الإمام أنها تجذب انتباه الشباب وتشدهم، ومن خلال إجابات الأئمة لاحظنا أنها نفسها المواضيع التي كان الأئمة يستفتون فيها من قبل الشباب، فالزواج والعمل والمشاكل الأسرية والعلاقات العامة والخاصة وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالواقع الذي يعيشونه والتي تمسهم مباشرة هي المواضيع التي تثيرهم، إن مثل هذه المواضيع تعبر عن انشغالاتهم الأساسية كشباب وهي ما يعكس صورة واقعهم الاجتماعي.

من الصعب كشف حقيقة تدين الشخص من خلال مراقبة تلك الممارسات التعبدية الظاهرة والتي تشمل جميع الطقوس الدينية المفروضة، وإن كنا من خلالها نطلق على بعضنا البعض تلك الأحكام الدينية والأخلاقية المرتبطة بمدى المواظبة على أداء الطقس الديني، فمن خلال هذه الأحكام نصطف في صف المتدينين أو نقف بعيدا عنه، إن التدين هو بحث عن الأمان والاطمئنان الروحي بقذف كل تلك المخاوف خارجا سواء التي لها إجابة أو التي لا نملك لها جوابا، إنه محاولة لفك الخناق عن النفس البشرية وتحقيق جزء من الارتياح النفسي الذي يصعب تحقيقه وسط مجموع ضغوطات الواقع.

حين يثار موضوع كموضوع الشباب والتدين قد يعتقد البعض هنا أن الشاب بحكم مظهره وسنه ربما يكون بعيدا كل البعد عن الدين ممارساتيا وهوياتيا وروحيا، لكن من يدخل ميدان البحث السوسيولوجي ويقترب من الواقع السوسيوديني للشباب يظهر له العكس فيجد أن الدين كبعد روحي والإسلام كبعد هوياتي، ما يزالا يحركا ذلك الشعور الروحي وتلك الشحنة الرمزية في الإنسان، إن هذه الكتلة الرمزية هي التي يتم فيها توظيف الدين واستثمار الجانب الروحي بشحن طاقة المكبوتات الخامدة، وهنا حين يلتقي الجانب الروحي بذلك المكبوت الاجتماعي والنفسي يحصل الانفجار.

5- بين الديني والاجتماعي: هروب أم لجوء؟

كانت وما تزال إلى اليوم العلاقة بين الديني والاجتماعي علاقة جدلية تقاطعية، فالنسق الديني والنسق الاجتماعي ليس بخطين متوازيان لا يلتقيان كما يبدو في الظاهر، قد نقول أن الديني هو ما

يشكل حقل المقدس والاجتماعي هو ما يمثل حقل المدنس، والمقدس والمدنس أو الديني والدنيوي لا يلتقيان، لكن ما يظهر في الواقع هو أن الديني وجد ليخدم الاجتماعي بل الديني نفسه تضمن قوانين الاجتماعي.

عرفت المجتمعات البشرية اعتقادات دينية عديدة ترجمت في ديانات مختلفة وفي هذه المجتمعات الدينية جميعا وظفت ظاهرة التقديس، فكما وظف الاجتماعي في الديني وظف الديني في الاجتماعي بعد أن اكتملت الصورة التقديسية لهذه الأديان اجتماعيا، لقد كان ظهور الأديان كرد فعل على أوضاع اجتماعية وسياسية هددت النظام الاجتماعي لبعض الطبقات الاجتماعية المسحوقة، فكان الدين هو المنقذ والمخلص أو لنقل هنا المصلح الأخلاقي لمساوئ نظام أرضي قاهر[10]. لقد انطلق الديني في مرحلته الابتدائية موظفا للاجتماعي ليظهر كمصلح اجتماعي أو كمجدد إحيائي لديانة أخرى، وحين تقوى الدين الجديد وانتشر كان لبد من ظهور محاولات "بشرية"

لقراءة نصوصه وتأويل رموزه، وهنا بدأت الاختلافات المذهبية و الطائفية فظهرت فرق ومذاهب دينية عديدة، وكان أن سعت كل فرقة من هذه الفرق في تنافس بينها وبين السلطة إلى السيطرة على الرأسمال الديني الرمزي، أما باقي الشرائح الطبقية من البؤساء اجتماعيا وسياسيا فكانت تنضوي تحت جناح المنتصر دوما، وفي أغلب الأحيان كانت تشكل كبش فداء فكان يدفع بها في حروب ومعارك لا تدري سبب قيامها ولا لما هي فيها لمجرد أنه قد صور لها أنها تقوم "بجهاد مقدس"، وفي كل مرة كانت تستغل السذاجة الدينية للجماهير فيوظف الديني في الاجتماعي وفي السياسي بغية الوصول لأهداف مدروسة مسبقا، وبسم الدين وتحت قداسة سلطته نفسها وقفت أطرافا اجتماعية أخرى ضد القهر والطغيان الممارس على الشعوب.

إن الدين عملة ذات وجهين فكما كان وما يزال سلاحا للأقوياء كان وما يزال كذلك سلاحا في يد الضعفاء، إنه المخزون الرمزي الروحي الوحيد الذي لا يمكنه أن ينفذ أو يهتلك و الذي باستطاعته شحن الطاقات المكبوتة وتحريكها وقت اللزوم، و الذي يمكنه من ناحية أخرى أن يمد العزاء لأولئك الذين لا يستطيعون أن يحققوا جزءا من طموحاتهم الدنيوية على أرض الواقع فيشكل لهم الملجأ والملاذ الروحي، فهل يمثل الديني في التجربة الدينية لشريحة الشباب لجوءا روحيا ورغبة في خلاص أخروي، أم هروبا من واقع معيشي صعب وتعبيرا عن احتجاج اجتماعي "صامت"؟

5-1. المشاكل الاجتماعية للشباب

أردنا أن نعرف كيف يعيش الشباب حياتهم اليومية الخاصة وحياتهم الاجتماعية وما هي مشاكلهم، فكانت أغلب أسئلة المقابلة تدور حول ما يمكن أن نسميه بتقصي الواقع، هذا الواقع الذي مثل هنا في ما هو ديني وما هو اجتماعي، وبعد مجموعة أسئلة طرحناها على المبحوثين مست مباشرة وضعيتهم الاجتماعية وظروفهم المعيشية طلبنا منهم تقييم المستوى المعيشي لعائلاتهم فكانت إجاباتهم كالتالي:

جدول رقم (10)

الفئة / الاجابة	ت	%
متوسط	11	84.62
فوق المتوسط	02	15.38

إن مثل هذه الإجابة هي التي يجيب بها الناس عندنا حين يسألون عن مستوى معيشتهم وكأنما هم متفقون على أن لا يجيبوا بغيرها، وهذا هو حال العائلات الجزائرية أو لنقل الحال الذي يصور لنا ونصوره نحن كذلك لأنفسنا، مع علمنا بأن الطبقة الوسطى هي أهم طبقة اجتماعية لما لها من دور في الحفاظ على مستوى الحراك الاجتماعي داخل المجتمع، إن اضمحلال وزوال هذه الطبقة اجتماعيا معناه الانهيار المؤكد للنظام الاجتماعي ولكل ما يتعلق به من أنظمة وأنساق سياسية واقتصادية وثقافية.

سألنا المبحوثين عن المشاكل التي يعانونها في حياتهم كشباب فكان مشكل العمل المشكل الذي يؤرق نسبة 61.54% منهم، فيما تعاني نسبة 7.69% من مشكل السكن و30.77% من المبحوثين قالوا بأنهم لا يعانون من أية مشاكل، قال لنا المبحوث رقم (06): "أعاني من مشكل العمل تفتح كل الأبواب إذا فتح بابه، كرهت ب *les concours*"، وتوقعنا لمثل هذه الإجابات جعلنا نطرح على المبحوثين سؤالا آخر حول تفكيرهم في الهجرة أو في "الحرقة" فكان أن أجابتنا نسبة 53،85% بنعم ونسبة 46.15% بلا، وممن قالوا بأنهم فكروا في الهجرة 57،14% فكروا فيها من أجل الدراسة ثم العودة و42.86% فكروا في الهجرة لأجل العمل.

في مقارنة بين أراء المبحوثين قال لنا المبحوث رقم (05) وهو موظف مؤقت عن طريق عقود التشغيل: "فكرت هجرة حرقة شنقعد ندير هنا" أما المبحوث رقم (08) وهو بطال فقال لنا: "لا لي يخدم في بلاده ويخدم"، وبمناسبة هذا السؤال جاء سؤال آخر سألنا فيه المبحوثين عن التمثلات التي لدهم عن أوروبا وعن حياة المغتربين هناك، فعن أوروبا أجابت نسبة 92.31% بأنها مجتمع التطور وبلاد التحضر والقانون والغرب يفوق العرب بكثير، ونسبة 07،69% رأت بأن العرب أحسن من الغرب، قال هذا المبحوث وهو المبحوث رقم (06): "حنا خير منهم بصح شعب خاين الخير وين ما دور كاين والمسؤولين خيان و ما يخدموش نيشان"، لما لا نقول بأن إجابة هذا المبحوث هي الإجابة الصحيحة والمعبرة عن أراء كثيرين يرون أن أوطانهم هي الأفضل، فنحن لا نتعامل هنا بالأرقام فقط لأن لغة الأرقام المجردة لا تعطينا الصحيح دوما، و كما قلنا سابقا قد يكون رأي الأقلية هو الساحق أحيانا، ففي الطب مثلا – وإن اختلف عن السوسيولوجيا – إذا كانت نسبة نجاح عملية ما لنقل مثلا عملية إخصاب اصطناعي مع تحديد نوع الجنين تمثل 99% ونسبة الفشل 1%، فإن الواحد بالمئة هو الذي يحسب حسابه وهو الذي يمكن أن يؤثر على نجاح العملية فتفشل لتداخل كروموزومات وعناصر أخرى.

أما عن حياة المغتربين بالغرب فرأى البعض من المبحوثين بنسبة 38.46% أن حياة البعض منهم جيدة والبعض الآخر حالهم سيئة، ونسبة 46.15% قالوا بأنهم يعيشون حياة معانات و15.38% اعتبروا حياة مغتربي الغرب جيدة، و من نماذج بعض الإجابات إجابة المبحوث رقم (05) الذي قال لنا: "لي عايشين في أوروبا كاين لي عايشين مليح وكاين لي راهم فتمرميد وعايشين فلمزربة".

رأينا أن المشكل الذي يعاني منه أغلب الشباب مشكل العمل، إن ما نسميه بالشغل أو بالعمل هو نشاط إنساني واعي يمنح الشخص الطمأنينة وراحة البال، فيشعره بنوع من التأمين الذاتي على نفسه كما يكسبه علاقات متنوعة ويدخله في حياة اجتماعية جديدة، فقد اهتم الإنسان منذ القدم بالعمل ليضمن بقاءه وحياته، وبناءا على هذا وعلى أن البطالة تشكل أكبر مشكل بالنسبة للشباب طرحنا علي كل مبحوث السؤال التالي: "برأيك كيف يمكن المساهمة في خلق فرص عمل للشباب البطال، أو ما هي التدابير التي على المسؤولين بالدرجة الأولى اتخاذها للتخفيف من هذا الوضع؟"، فجاءت إجابة 15.38% من المبحوثين تقول بخلق سياسة تشغيل جديدة وإعادة النظر في قوانين التشغيل على مستوى الوظيف العمومي، فتح مجال للمستثمرين وتشجيع الشباب على خلق مؤسسات اقتصادية مصغرة أو متوسطة، و38.46% قالوا بضرورة فتح الشركات والمؤسسات وإنشاء المصانع ومنح قروض للشباب، و38.46% قالوا بوجوب خلق مناصب شغل أما 7.69% قالوا بدخول الشركات الأجنبية، قال لنا

بعض المبحوثين ومنهم المبحوث رقم (04): "أرى ضرورة دخول الشركات الأجنبية لأن كل تدابير المسؤولين فشلت بسبب سياسة المحسوبية"، أما المبحوث رقم (07) فقال: "أفضل حل فتح الشركات فالاستثمارات ميديهاش المسكين والمشكل فشعب لا في الدولة الناس تأخذ الدعم دون مردود، يدوا دعم مالي وياكلوه"، إن المطالبة بخلق مناصب شغل للشباب البطال مطلب صعب تحقيقه كذلك بالنسبة للدولة فحسب ما صرح به سابقا رئيس لجنة الشؤون الاجتماعية و العمل والضمان الاجتماعي في حديثه عن قانون ترقية وتشغيل الشباب، رأى أن القطاع العام ليس باستطاعته خلق عدد كبير من مناصب الشغل وبالتالي فإن الأمر يعود إلى القطاع الخاص الذي يعول عليه في هذه المسألة"[(11)].

5-2. الديني والاجتماعي في انشغالات الشباب

إن العلاقة القائمة بين ما هو ديني وما هو اجتماعي تظهر لنا من خلال تلك الطقوس والممارسات اليومية، إن التجربة الدينية للإلهي ترتبط ارتباطا مباشرا بالتجربة الاجتماعية للبشري، ففي تتبعنا لنشوء وتطور ظاهرة دينية ما أو في دراستنا لطرق ممارسة سلوك من السلوكات دينية لا بد أن نربط كل هذا بما يدور اجتماعيا، فتجارب الناس الاجتماعية كما تؤثر نفسيا على مشاعرهم وأحاسيسهم لتظهر في سلوكاتهم فإنها تؤثر كذلك على ممارساتهم الدينية، إن العلاقة مع الإلهي والتي تترجم في طقوس وممارسات تتضمن البشري ولا تخلو مما هو معاش.

يمثل المسجد ذلك الفضاء الديني المقدس إنه المكان الذي تمارس فيه شعيرة الصلاة في الإسلام، وفي اعتبار المساجد في الإسلام بيوتا من بيوت الله فإن هذا قد وضح دورها وبين لنا مكانتها، وهذا التحديد لدور المسجد لم يمنع من أن تعطى له أدوار أخرى لكن الأهم في كل هذا كان في ذلك الدور السياسي التعبوي الذي قام به المسجد، ونحن هنا أردنا أن نعرف آراء المبحوثين كشباب في ذلك العمل التوظيفي للمسجد والذي تقوم به بعض الفئات من الشباب، فكان السؤال الذي طرحناه يبحث رأي المبحوثين في الشباب المتحمسين للدين واللذين يوظفون المسجد كفضاء للتعبير عن الغلو والتطرف في الدين وفي الممارسات الشعائرية للدين، هل يمثل هذا رد فعل على أوضاع اجتماعية واقتصادية مزية أم يتعلق بطبيعة التفكير الديني "المتطرف" في حد ذاته؟

جاءتنا الردود على هذا السؤال كالتالي: نسبة 61،54% من الشباب المبحوثين اعتبروا أن الذي قام به البعض من الشباب و يقوم به البعض منهم اليوم – لكن بنسبة قليلة لأن هذا لم يعد ممكنا و لا يسمح به اليوم فهناك رقابة على المساجد – هو رد فعل على تلك الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية المعاشة، فيما

رأت نسبة 38،46% أن هذا يعود إلى طبيعة التفكير الديني المتطرف لكن وحسب ما رأوه فإن هذا الفكر قد تم غرسه في هؤلاء الشباب.

إن عملية التعبئة السياسية التي وظفت الديني استندت على الظرف الاجتماعي والوضع الاقتصادي الذي يعيشه العديد من الشباب كالبطالة والفقر وما يرتبط بهما وينتج عنهما، لقد أصبح الشباب وغيرهم نتيجة لجهل مجتمعاتنا العربية بالثقافة السياسية مجالا خصبا لاستثمار السياسيين، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن التطرف الديني نفسه له ارتباط بما هو اجتماعي، فالمتطرف ليس متطرفا حبا في التطرف ولكن لأنه مقهور اجتماعيا ومكبوت نفسيا، والشخص الذي يكون هذا هو حاله فإنه يبحث عن متنفس أخر ويسلك طريقا أخرى وفي هذه الطريق قد يلتقي بأناس يستغلون وضعه وحماسه، فيملون عليه ويغرسون فيه أفكارا متطرفة كيفما كان نوعها دينية أو سياسية.

إن حمل مثل هذه الأفكار لدى الجيل الجديد الذي كان يتخبط بين قيم الحداثة و مغرياتها التي عجز عن الوصول لها وبين القيم التقليدية التي وجدها في مجتمعه، جعله "يصطدم" بالجيل القديم الذي مازال محافظا على قيمه وعاداته والذي عجز التيار على جرفه، وقد أصبح هذا الصدام باديا في بعض الممارسات الاجتماعية و الدينية والمسجد كفضاء ديني ظهرت فيه مثل هذه المشاحنات، وهنا سألنا ممثلي الجيل الجديد عن رؤيتهم لتحول بعض المساجد إلى فضاء للصراع بين الشباب و الشيوخ حول بعض الممارسات الدينية، فردت نسبة 92.31% من الشباب بنعم ونسبة 07.69% منهم بلا، قال لنا المبحوث رقم (12) عن مثل هذه الصراعات التي تحدث ببعض المساجد: "نعم كل وحدين يصلوا وحدهم كاين الجامع لي يصلوا الناس مع الإمام و كي يكمل الإمام يديروا جماعة ويصلوا وحدهم، وهوما من جماعة السلفية وشفت هاذ الشي بعيني".

حول نفس الموضوع طرحنا على الأئمة وعلى المدير السابق لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لمعسكر سؤالا يقول: "كيف تنظر للصراع الدائر والمعلن داخل بعض المساجد بين الشيوخ و الشباب حول بعض الممارسات الدينية؟"، فرد علنا المدير السابق والمسؤول حاليا كما قلنا سابقا عن إعطاء أئمة معسكر دروسا أسبوعية قائلا: "الصراع لا يخلو منه عصر ونقول هنا التفاوت في السن فنظرة الكبير غير نظرة الصغير هذا من حيث العموم، أما من حيث الخصوص فهناك فضاءات للفتاوى ومراجع كثيرة، فدخلت أقوال جديدة على معارف الناس لم يعتادوها و إذا رأوا شخصا قام بها فإنهم يثورون، وسبب الخصام من جهة أخرى أن الشباب يحملون مفاهيم جديدة لا يعرفون كيف يعرضوها والشيوخ لا يقبلون هذا، فنكون

بين قلة العلم والمعرفة عند الشيوخ والتشدد في كيفية العرض لدى الشباب"، أما الأئمة فجاءت آراؤهم كالتالي

جدول رقم (11)

الفئات / الإجابات	الأئمة الأساتذة		الأئمة المدرسون		الأئمة المعلمون		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
أخلاق سيئة	0	0	01	33.33	01	50	02	25
الشباب مثقف	0	0	02	66.67	01	50	03	37.5
صراع أجيال ومعارف	03	100	00	0	00	0	03	37.5
المجموع	03	100	03	100	02	100	08	100

اختلفت أراء الأئمة فيما يحدث من صراع داخل بعض المساجد بين الشباب والشيوخ حول بعض الممارسات الدينية كالقبض والبسط، المسح على الخفين، وقت صلاة تحية المسجد وغيرها من الممارسات، منهم من رأى أنها أخلاقا سيئة بالمسجد فمثلا قال لنا المبحوث رقم (02):"أخلاق سيئة فالشباب لم يحسنوا توظيف ما تعلموه والشيوخ لم يحسنوا تعاملهم مع الشباب"، ورأى البعض من الأئمة أن الشباب مثقف أما الشيوخ فيفتقدون مثل هذه الثقافة الدينية، والبعض الآخر اعتبر ما يحدث صراع أجيال ومعارف فمعارف الشيوخ غير المعارف التي اكتسبها الشباب، وهنا قال المبحوث رقم (08): "الصراع بين الشباب والشيوخ إن حصل فإن مرده إلى أن الشيوخ ربما تلقوا أمور دينهم من أقرانهم أو ممن يكبرونهم على فقه المذهب المالكي و فقط، فيرون أن ما خالف ذلك باطل وليس من الدين أما شباب اليوم ونظرا لتطور وسائل العلم وانتشار الكتب الدينية للمذاهب الدينية الأخرى أو التي لا تتقيد بمذهب معين، فإنهم بعد اطلاعهم عليها وقراءتهم لها أو متابعة القنوات الدينية ربما اقتنعوا بأقوال تخالف المذهب المالكي، فنشأ هذا الصراع ويصبح كل طرف يتهم الطرف الآخر بأنه على غير الصواب والحق"، في نفس

المسألة تقريبا عدنا لنسأل الشباب حول نظرتهم للعلاقة بين الجيل القديم والجيل الجديد، قيم الشباب وقيم الشيوخ وهل يمكن أن تلتقي في بعض النقاط؟ فجاءت ردودهم كالتالي:

جدول رقم (12):

الفئة / الاجابة	ت	%
نعم ممكن	08	61.54
لا مستحيل	05	38.46
المجموع	13	100

من الشباب الذين قالوا بإمكانية الالتقاء بين قيم الشباب و قيم الشيوخ منهم من رأى أن هذا الالتقاء ممكن في الأمور الدينية فقط دون الأمور الدنيوية، و منهم من رأى أنهم يلتقون في بعض الأمور الدنيوية الصغيرة والبعض الآخر رأى أن هذا الالتقاء ممكن لكن هناك مشاكل في بعض الممارسات الدنيوية، يعبر المبحوث رقم (07) عن هذا قائلا: "دينيا ممكن لكن في غير الأمور الدينية لا فالجيل القديم متحفظ جدا والجيل الجديد منفتح"، أما نحن فيبقى أن نقول هنا "لكل جيل مفرداته".

إن تلك الطاقة الرمزية الموجودة في الإنسان التي تشكل الجانب الروحي فيه والتي صاغها في شكل معتقدات دينية آمن بها، أراحته وخففت عنه بعض متاعب الحياة، فكان الدين المتنفس الوحيد الدائم و"المجاني" لكل المؤمنين به، ومع اكتمال الفكرة الدينية ورقيها مع رقي الفكر الإنساني عرفت الأديان التوحيدية الثلاث، هذه الأديان أعطت فضاءات دينية كالأديرة والكنائس والمساجد التي شكلت هي كذلك أمكنة راحة نفسية للمؤمن، في هذا ومن خلال اشتغالنا على الخطاب الديني المسجدي وعلى التدين لدى الشباب، أردنا أن نعرف منهم إن كانت خطب الجمعة قادرة على إحداث توازن نفسي لديهم وهل تشكل زيارة المساجد في رأيهم وسيلة للاستقرار النفسي؟ فجاءت إجاباتهم جميعا تقول بأن زيارة المساجد تمنح نوعا من الراحة النفسية، أما عن خطب الجمعة فقالت نسبة 23.07% من الشباب بأنها تساعد الشاب نفسيا على التوازن، أما نسبة 76.92% فقالت لا يمكن لخطب الأئمة أن تحدث توازنا نفسيا لديهم، في هذا قال لنا المبحوث رقم (10): "يمكن والعيب في الإمام" وقال المبحوث رقم (13): "بهذا المستوى الذي عليه خطب الجمعة لا".

ولكي نبقى في نفس الموضوع المثار بين الديني (الروحي) والدنيوي (المادي) وانجذاب الإنسان بينهما سألنا الشاب المبحوث: أين تلقى راحتك، في الروحانيات (الدين) في الماديات أم في أشياء أخرى؟ فكانت الردود كالأتي:

جدول رقم (13)

الفئة / الإجابة	ت	%
الروحانيات	02	15،38
الماديات	02	15،38
فيهما معا	09	69،23
المجموع	13	100

لا يمكن أن نعرف حقيقة إجابات المبحوثين عن موضوع كهذا إلا إذا طرحنا عليهم سؤالا آخر يمكننا به كشف حقيقة احتياجات شباب اليوم، فسألناهم كيف هي نفسية الشاب الجزائري وما هي احتياجاته؟، ليجيبونا جميعا بكلمات مثل: "مقلق"، محبط، منهار، مكبوت ومحطم أما حول احتياجاتهم كشباب فقالت نسبة 76.92% من المبحوثين ينقصه كل شيء وطالبت نسبة23.07% بتحسين وضعه الاقتصادي ليتحسن وضعه الاجتماعي، من بين ما قاله لنا بعض المبحوثين إجابة المبحوث رقم (02) الذي قال: "نحن لا نطلب الكثير العمل، الزواج والسكن وهنيني نهنيك وكلني نسكت"، وقال لنا المبحوث رقم(13): "في العموم الناس لا ينقصها شيء ميخدموش وخصهم كل شي الواحد جيه خدمة على حساب مستواه ويتكبر عليها وما يقبلهاش"، إن كلام هذين المبحوثين معا صحيح ولا يحتاج إلى توضيح أكثر لأن الأمور أعقد مما نتصور حتى لا نقول بصحة رأي على رأي آخر، لكن ما نقوله حول كل ما قيل هو أن الناس حين يتحدثون عن شيء ما فإنهم يرسمون في كلامهم الواقع الذي عايشوه وشاهدوه.

حول موجة كل تلك المظاهرات المطالبة بتغيير الأوضاع والأنظمة وبإصلاح الأحوال والتي تجتاح بعض الدول العربية، وربطا بما يعيشه الشباب ويعانونه أردنا أن نعرف كيف يتصور الشباب حدوث التغيير وسط مجموع المتغيرات التي تحصل، فسألناهم كيف يأتي التغيير بأي طريقة يحدث وكيف نتعامل معه؟ لتجيبنا

نسبة 38.46% من الشباب أن التغيير يأتي بالتدريج يقول المبحوث رقم (02) هنا: "بالتدريج والعقلانية والسلطة هي التي تفرض العنف يضربوني نضرب والبادئ أظلم، نتقبل كل الأفكار نناقشها ونرى إلى أين ستوصلنا هذه الفكرة التغييرية"، أما المبحوث رقم(11) فيقول: "بالتدريج بدون عنف وبدون مفاجآت ويجب أن يكون هناك تكامل بين المختصين والعامة"، ونسبة 30.77% من المبحوثين رأت أن الأمر يتم بإحداث تغيير جذري وبوسائل سلمية يقول المبحوث رقم(06) هنا: "تغيير جذري وبتغيير المسؤولين كذلك كامل خيان ملعساس وطلع والأحسن نغيروا الثقافة ونتربوا من جديد"، فيما رأت نسبة 15.38% أنه يأتي بتغيير العقليات يقول المبحوث رقم (07) هنا: "نحن لا نملك ثقافة التغيير ثقافة العربي مزيج من الثقافات والغربية خاصة علينا بتغيير العقليات"، ويقول المبحوث رقم(08): "نصلح أنفسنا أولا إذا صلح الفرد صلح المجتمع"، ونسبة 7.69% اعتبرت أن التغيير يأتي بالعودة إلى الدين ونسبة 7.69% قالت بحدوثه بالقوة يقول المبحوث رقم (04)" بالقوة فالسياسة السلمية لم تأتي بأي نتيجة و علينا أن نحافظ على مكاسب التغيير".

إن من أهم أهداف التغيير ألا يؤدي إلى انتكاسات جديدة وألا ينحرف عن المسار الذي رسم له فلا يسبب الخسائر بدل أن يحقق النجاحات، من هنا كان التغيير التدريجي التغيير الأنجع في مثل هذه الحالات فالتغيير المفاجئ مثله في ذلك مثل الفكرة الجديدة المفاجئة التي تصدم. إن كل ما هو جديد لا يمكن تقبله لأنه بالإضافة إلى مزاحمته القديم فإنه يكون مزعجا، إن الأفكار تطرح بالتدريج والأهم في كل هذا أنها تراعي الوقت، فتختار الزمن الذي تطرح فيه وهذا كي لا تصدم من ناحية و كي لا تهاجم من ناحية أخرى.

لكل شخص انتماءات معينة سياسية، دينية، فكرية وغيرها والتي مهما حاول إخفاءها فإنها تظهر مع الوقت، هذه الانتماءات هي التي تملي عليه مجموع خيارات معينة كما ترسم له وجهة خاصة في العيش وفي التفكير، وعلى أساسها يصنف نفسه داخل منظومة خاصة.

وضعنا نحن هنا مجموعة اختيارات طرحناها على الشباب وطلبنا منهم أن يصنفوا أنفسهم على حسبها، فجاءت اختياراتهم كالتالي:

جدول رقم (14):

الفئات / الإجابات	شاب مهمش	شاب ناقم على الأوضاع	إسلامي معتدل أرى الحل في الإسلام	إسلامي متطرف	شاب وطني	شاب علماني
رقم 01		/				
رقم 02			/			
رقم 03					/	
رقم 04			/			
رقم 05		/				
رقم 06	/					
رقم 07					/	
رقم 08					/	
رقم 09					/	
رقم 10			/			
رقم 11						/
رقم 12			/			
رقم 13			/			
المجموع	01	02	05	00	04	01
النسب	7،69	15،38	38،46	00	30،77	7،69

نجد إجمالا أن 30.77% من نسب إجابات الشباب تقول بالوطنية، فيما قالت نسبة 23.08% بالإسلام المعتدل أو لنسميه هنا بالاعتدال أو بالوسطية، وبين الدين والوطن يطرح هنا ذلك السؤال الذي يقول"هل يسمو الدين على الوطن أم أن الوطن قبل كل شيء؟"، إن مثل هذا السؤال يطرح إشكالات كثيرة فهل بالإمكان التأطير والتقنين السياسي للوطن بعيدا عن الدين – خصوصا في تلك البلدان التي تعرف وجود طوائف دينية عديدة وتشهد نزاع ديني/ فكري حاد – هل نفرق بين الولاء الديني والولاء السياسي للوطن وهل يسبق ولاؤنا للوطن ولاءنا الديني؟

إن طرحنا لمثل هذا الموضوع "الدين والوطن" في بحثا هذا جاء صدفة ملاقاة مع عملنا الذي أردنا به معرفة البعض عن انتماءات الشباب الدينية، السياسية والفكرية، ومن خلال اطلاعنا على بعض المنشورات التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وجدنا بعض أعداد رسالة المسجد تناقش نفس الموضوع، ومن زاوية دينية / أخلاقية تحاول في طرحها التوفيق بين الدين والوطن بغية درء المفاسد وجلب المصالح، ففي العدد الرابع لشهر أفريل 2010 طرحت المنشورة خمسة مواضيع الأول حمل عنوان "مفهوم المواطنة ومقومات الوطنية في الإسلام"، والثاني تحت عنوان "المواطنة في المنظور الإسلامي"، والثالث بعنوان "إشكالية الوطن والوطنية والمواطنة"، والرابع معنون "الوطنية والمواطنة في الفكر الإسلامي"، والخامس عن "الوطنية في الإسلام"، وفي العدد السادس لشهر جوان 2010 نجد عنوان "الولاء بين الدين وبين المواطنة"، إن التركيز على مثل هذا الموضوع وعلى مواضيع أخرى وجدناها في أعداد أخرى من رسالة المسجد كظاهرة الغلو في الدين، التطرف الديني، رسالة الزوايا، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، دور الزوايا والطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال، فقه جماعات العنف وغيرها، إنما جاء رغبة من الوزارة في دفع الأئمة وحثهم على نشر ثقافة السلم داخل المجتمع وهذا من خلال مضامين خطبهم، خصوصا بعد ما عرفته الجزائر من أحداث خلال العشرية الحمراء بسبب انتشار نوع من التطرف الديني التكفيري الذي تم ربطه بالسياسي والاجتماعي، فحين يوظف الإسلام الطرقي الشعبي فإنه يوضع في مواجهة الإسلام السياسي الذي أصبح يشكل تهديدا لأمن الدولة، وحين تطرح فكرة المواطنة فللحفاظ على النظام والأمن العام، إن اختلال النظام السياسي يسبب انهيارا في باقي الأنظمة الأخرى وما يعرف في العرف الديني والعرف السياسي ب"طاعة أولي الأمور"، ليس رضوخا أو انسحابا بل يفهم على أساس استراتيجية دبلوماسية تهدف للحفاظ على الأمن الداخلي للمجتمع، إن خلق الفتن داخل المجتمعات بذلك الشكل السريع والمفاجئ والعنيف لا فائدة منه فلا يأتي الإصلاح أو التغيير إلا بسياسة سلمية وبفكرة مدروسة.

خلال مقابلاتنا مع هؤلاء الشباب وجدنا عندهم حس المواطنة كما وجدنا "الوازع" الديني والهم الاجتماعي، وكان هذا الأخير هو الذي يحرك مساراتهم فهو الدليل الذي يقول لنا دوما بارتباط الاجتماعي بطبائع الناس وأحاسيسهم، إن ما يعيشه الشخص في أسرته وفي مجتمعه يترجمه على شكل سلوكات اجتماعية ويعكسه في ممارسات دينية، إن الديني يمثل عند هؤلاء الشباب متنفسا روحيا يلجأون إليه رغبة في خلاص أخروي وآخر دنيوي، وينعكس عندهم ذلك الخلاص الدنيوي حين يهربون من التفكير في واقعهم الاجتماعي، هذا الواقع الذي يبحثون له عن مبررات شرعية يبررون ويشرعنون بها "مظالمه"، ويمنحون في نفس الوقت أنفسهم نوعا من "الصبر الديني" الذي يتصف به المؤمن.

الهوامش:

[1]– مثلاً هل أصبح من الضروري اليوم حذف الآيات التي تدعوا إلى الجهاد ومحاربة "الكفار"، دون العمل على القيام بتغيير جذري للخطاب، وبالتالي التمسك بالمعنى الحرفي للنص كما هو، ليكون التغيير الذي حدث استجابة لذلك الطلب الخارجي لا أكثر ولا أقل؟

[2]– وإن كنا سنعرض بعض الأرقام فلأنها أرقام خاصة ببعض المعطيات الأساسية الخاصة بموضوع البحث، وبعضها الآخر عبارة عن نسب مئوية تتعلق بتحليل وتفريغ النتائج المحصل عليها من خلال أجوبة المقابلات.

[3]– هذه المعلومات حصلنا عليها من مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر (حسب إحصاء 31 /2010/12).

[4] – مُحَمَّد المأمون القاسمي. رسالة الزوايا و الحياة الروحية، رسالة المسجد، السنة الثامنة، العدد الثاني، صفر 1431 – فيفري 2010، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر العاصمة: الجزائر. ص 38.

[5]– عبد الباقي هرماسي. حيدر غيبة وآخرون: مرجع سابق، عروس الزبير، الدين والسياسة في الجزائر: انتفاضة أكتوبر 1988 نموذجا، ص 493.

[6]– مُحَمَّد أركون: من فيصل التفرقة إلى فيصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، ترجمة و تعليق: هاشم صالح، ط 2، دار الساقي، بيروت: لبنان. 1995، ص ص 125- 126.

---

* – ماجستير علم الاجتماع 2012. إشراف: أ.د عمار يزلي

[7]– لكن هذا الرجل الديني نفسه عندما يصبح موظفا حكوميا هل يصبح معنيا هنا بتمرير قضايا وأفكار غير دينية مثلا، هل يبرر له هنا في أن "ينتج"–كي لا نقول ينقل أو يملى عليه– خطابا دينيا يسعى به غيره إلى تحديد وتوجيه الوعي الجماهيري؟

[8]– أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي: صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق: سوريا. 1380هـ، ص 13.

[9]– المرجع نفسه، ص 26.

10– نعني باكتمال الصورة التقديسية للأديان اجتماعيا نهاية الدعوة الدينية وإيمان الجميع بها بعد انتشارها وأخذها الطابع البشري، وهنا ظهر حراسها من العلماء والفقهاء أصحاب القداسة الدينية المسيرين للرأسمال الرمزي، وهذا الاكتمال هو الذي جعل الأديان – ونعني هنا الأديان التوحيدية – تدخل دائرة التأويلات.

[11]- مجلس الأمة، العدد 28، مجلة تصدر كل شهرين عن مجلس الأمة، الجزائر ديسمبر 2006، ص 24.